Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيدر حيدر في «شموس الغجر»

حيدر حيدر قصّاص وروائي سوري معروف. له مايربو على اثني عشر عملاً "إبداعياً" مابين مجموعة قصصية، وأثر روائي. ومن رواياته المعروفة جداً: وليمة لأعشاب البحر، والزمن الموحش. أما "شموس الغجر" هذه، فهي روايته الأخيرة. وقد صدرت بدمشق في العام ١٩٩٧. وهي تمثل آخر أعماله. ولعلّها تعبر عن المرحلة الأخيرة من فنه الروائي.

وسنتناول هذه الرواية من خلال مجموعة من المحاور التي اشتبكت حولها علائقها، وقام عليها سردها، وجسّدها أبطالها، وتغلغلت فيها رؤى كاتبها. وهذه المحاور الكبرى هي: العنوان، والحيّز الروائي، والشخصيات، والإيقاع الروائي.

(أ)- العنوان:

ونبدأ بالعنوان، لأن العنوان قد يقدّم للناقد مفتاحاً لرؤية الكاتب للحياة والناس والأفكار، ونافذة للإطّلال على مقولة الرواية، وهواجس صاحبها. كما قد يقدم ضوءاً خافتاً لايدع الشخصية المحورية في منطقة العماء والعتمة، فمن المعروف في الفن السردي أن المؤلّف يحمل مصباحاً في سردابه الروائي المعتم يجعله يشعّ بين فينة وأخرى، ليضيء مناطق يريد لها الإضاءة والانكشاف.

والشخصية المحورية في هذه الرواية فتاة تدعى (راوية) وُلدتْ لأب يدعى (بدر النبهان). وكانت ولادتها في البرية وتحت وهج الشمس. وقد ساعدتها على رؤية النور قابلة غجرية تدعى (بيلارك). وتنبأت لها هذه الغجرية بحياة مضطربة مشوبة بالصراع والمغامرة، ولكنها آيلة إلى النور والهداية، فقالت لها:((تجتازين دروباً شائكة في قادم الزمن، لكن النجوم ستهديك أخيرا يابنتي)).

وقد اختار الكاتب ولادة (راوية) في العراء وتحت الشمس، ليقول إنّ هذه الفتاة التي لفحتها شموس الغجر ستكون نظيرة لهم، تعشق الحرية، وتتمرّد على التقليد البالي والعرف السائد...وستمتاز بما هو أهم من هذا، وهو العصيان على الاهتزاز، والثبات على المبدأ.

ومن هنا، فـ (راوية) التي كانت ضمير المتكلم في الرواية كانت حاملة لفكرة، ومحوراً لأحداث، ورمزاً لحلم الزمان القادم. وآية ذلك أن حبيبها الفلسطيني (ماجد زهوان) وهو معادل لها، فكرة وسلوكاً، وقد التقته في قبرص،